مجلد 5 ع3 (عدد 13) / جوان 2020 –شوال 1441 السنة السادسة ISSN: 2352-9770 / EISSN: 2602-5337

محمد حربي في حياة تصدي وصمود بين نرجسية المناضل وموضوعية المؤرخ

Muhammad Harbi in the life of confrontation and steadfastnessbetweennarcissism of the fighter and the objectivity of the historian

مولود قرين Grine mouloud
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
mouloudgrine@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-11-09 تاريخ القبول : 2019-11-14

الملخص:

تتناول الدراسة، مذكرات المناضل والمؤرخ "محمد حربي" الموسومة بـ: حياة تحدي وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962م، سيلاحظ القارء أن الدراسة ستتوقف عند 1956م، وذلك نتيجة أسباب موضوعية تتمثل في اختيار القضايا التي كان فيها حربي فاعلاً أو قريباً من الحوادث التاريخية، وتبرز حقيقة توجهاتها الفكرية، لأن إشكالية الدراسة انطلقت من مدى تخلص "حربي" من انتمائه الإيديولوجي، وتوظيفه للمنهج الماركسي في سرده لمذكراته الشخصية.

الكلمات المفتاحية:

محمد حربي، المذكرات، حياة تحدي وصمود، الحركة الوطنية، الثورة التحريرية، المدرسة الماركسية.

Astract :

The study deals with the memoirs of the activist and historian "Muhammad Harbi", tagged: life of challenge and steadfastness, politicalmemoirs 1945-1962, the readerwill notice that the studywill stop at 1956, due to objective reasons to choose the issues in whichHarbiwas active or close to historical incidents, The reality of itsintellectual orientations ishighlighted, because the problem of the study stems from the extent to whichHarbigetsrid of hisideological affiliation, and uses the Marxistapproach in his narrative of hispersonalmemoirs.

Key words:

Muhammad Harbi, Memoirs, Life of Challenge and Resilience, National Movement, LiberationRevolution, MarxistSchool.

المقدمة:

تكتسي المذكرات الشخصيةأهمية كبيرة في كتابة التاريخ، فهي بمثابة شهادات حية يقدمها من عايشوا وعاصروا مرحلة تاريخية معينة أو كانوا فاعلين في حوادثها، مقدمين بتلك الشهادات معلومات غزيرة تفيد المؤرخ في بناء الموضوع التاريخي، وتساعده في تحليل الواقع وفهم جزئياته، غير أن أغلب المذكرات يغلب عليها طابع البطولة، والتحيز للذات أو الجهة أو الإيديولوجية، والكثير منها تغرق في التفاصيل الشخصية التي تجعل من صورة المجتمع شبه غائبة، وهذا ما يصّعب مهمة المؤرخ الذي يجب أن يكون حذرًا في التعاطي مع المعلومات متسلحًا بالمنهج العلمي الذي يؤهله لتمييز بين الغث والسمين فيها. وتصبح مهمة المؤرخ أكثر صعوبة إذا تعامل مع مذكرات لشخصيات ذات مستوى ثقافي عالي، فيجد نفسه منساقاً لأحكامها وآرائها، والأكثر من ذلك إذا كان صاحب المذكرات مؤرخًا مميزا ذو صيت عالي، وهذا ما ينطبق على "محمد حربي"، في مذكراته: "حياة تحدي وصمود". ويبدو أن "حربي" نفسه قد تنبه إلى هذه الإشكالية، وهي كيف سيتعامل مع مذكراته هل سيغرق في تمجيد الذات والانتماء، أم سيطبق على رواياته منهج المؤرخ؟

ويتساءل في المقدمة هل سيفق في ذلك أم لا؟. ومن أجل أن يتجاوز تلك الإشكالية استعان بصديقه "أندري أكون"، الذي يقول عنه بأنه: " محاور متشدد يسألني وينتقدني، ويهذب باستمرار قولي الذي يمكن بين الخطاب المجرد، المعبّر عنه في لغة المثقفين المتخشبة،

وبين النظر إلى الذّات بعين الرضى..."[1]. فإلى أي مدى وفق في ذلك؟.

1-محمد حربي تعريف مقتضب:

ولد حربي في جوان 1933م بالحروش بسكيكدة، ينحدر من عائلة كبيرة سواء من جهة الأب أو من جهة الأم، فمن جهة الآب ارتقت عائلة "حربي" اجتماعيا نتيجة علاقتها بالإدارة الاستعمارية، وامتلاكها لأراضي زراعية واسعة، أما من جهة الأم (عائلة كافي) فقد اكتسبت شهرتها بالعلم والتدين والإصلاح.فالانتماء جعله من الأبناء المحظوظين للالتحاق بالمدرسة الفرنسية في سن مبكرة، وفي نفس الوقت كان يتردد على المدرسة القرآنية. وبعد أن نال الشهادة الابتدائية التحق بثانوية سكيكدة سنة 1945م[2].تزامن دخوله إلى الثانوية مع مجازر 8 ماي وما انجّر عنها من انعكاسات، وهذا ما ساهم في صقل شخصيته وفتح أفقه السياسي خاصة وأنه كان منتمياً للكشافة الإسلامية التي غرست فيه الروح الوطنية منذ وقت مبكر[3]، لذلك بدأ يقترب من مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي انظم إلى خليتها سنة 1950م، وبعد عام أصبح مسؤولاً عن خلية سكيكدة خلفا "لعبد الحميد معطي الله"[4].

وبعد فشله في نيل شهادة الباكالوريا أرسله والده إلى فرنسا سنة 1952م لمواصلة دراسته في كوليج "سانت بارب" (Saint Barbe)، وهذا ما ساعده في التقرب من قيادات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أمثال محمد يازيد، وبن يوسف بن خدة، وصالح الوانشي، ومحمد بوضياف، وديدوش مراد وغيرهم. ونفس الوقت سمحت له الدراسة في باريس أن يمارس النشاط الطلاّبي، فبعد سنة واحدة فقط أصبح أميناً عاماً لودادية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بين بين عامي 1953-1954م[5].

التحق بالثورة سنة 1956م، وتولى عدة مسؤوليات بفيدرالية جهة التحرير الوطني بفرنسا منها رئاسة لجنة الإعلام والأخبار التابعة لفيدرالية جهة التحرير الوطني بفرنسا، ومسؤولاً عن الدوان المدني لوزارة القوات المسلحة وغيرها من المناصب في وزارة خارجية الحكومة الجزائرية المؤقتة[6].

وبعد الاستقلال تم تعينه مساعدا لمحمد بوضياف الذي كان أمينا عاماً للشؤون الخارجية لحزب جبهة التحرير الوطني. ويقال أن حربي لعب دورا كبيرا في صياغة "ميثاق طرابلس"1962م، وميثاق الجزائر 1964م. وبعد التصحيح الثوري 19 جوان1965م ألقى عليه بومدين القبض بدعوى تورطه في إنشاء منظمة المقامة الشعبية الشيوعية للإطاحة بنظام بومدين. وضع في السجن ثم تحت الإقامة الجبرية ليتمكن من الفرار سنة 1973م إلى فرنسا فالتحق بالجامعة وتخصص في التاريخ ليتحصل على دكتوراه درجة ثالثة في موضوع "جذور جبهة التحرير الوطني"، ثم دكتوراه دولة سنة حول الثورة الجزائرية نشرت في كتاب سنة 1980م بعنوان "جبهة التحرير الوطني بين السراب والواقع"[7]. نشر "حربي" الكثير من الدراسات حول تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، لذلك يعّد من أكثر المؤرخين الجزائريين انتاجاً حول هذه الفترة من تاريخ الجزائر.

2-وصف المذكرات:

مذكرات حربي نشر جزأها الأول الذي توقف سنة 1962عام 2001 في دار القصبة الجزائريةباللغة الفرنسية تحت عنوان:-Une vie debout –mémoire politique (tome1:1945-1962)، وبعدها صدرت النسخة المترجمة إلى اللغة العربية عن نفس دار النشر، ترجمها الأستاذان "عبد العزيز بوباكير" و "علي قسايسية" تحت عنوان "حياة تحدٍّ وصمود: مذكرات سياسية 1945-1962م". وقد جاءت المذكرات في كتاب متوسط الحجم في 431صفحة. قسمها حربي إلى اثنى عشر فصلاً تناول في كل فصل مرحلة من مراحل حياته بالتفصيل، وأردفها بمجموعة من الملاحق وهي عبارة عن وثائق تبرز علاقة حربي بمسؤلي جبهة التحرير الوطني.

والقارء لهذه المذكرات يجد نفسه أما معلومات غزيرة حول محطات مفصلية من تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وما يزيد من قيمة تلك المعلومات أن "حربي" كان فاعلاً فيها أو قريبا من فاعليها.ولكن قراءتها يجب أن تكون حذرة، وأن يطبق فيها المؤرخ منهج النقد التاريخي الصارم، لأن حربي ليس مناضلا أو سياسيا فقط، وإنما مؤرخا كذلك. لذلك سنحاول أن نقدم في هذه الورقة قراءة نقدية لما ورد في المذكرات، وذلك اعتمادا على ما دراسات تناولت القضايا التي طرحها حربي في مذكراته.

3-المجتمع الجزائري في منظور حربي خلال الثلاثينيات:

تحت عنوان: "طفولة محظوظة" لم يكتف حربي بسرد تفاصيل طفولته خلال عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، وإنما قدّم لنا صورة عن المجتمع الجزائري في هذه الفترة، ولعلّ أبرز سيماتها "الطبقية"، فكان المجتمع يتكون من المعمرين الأسياد واليهود المحتكرين للنشاط التجاري، والطبقة الجزائرية البرجوازية من الأهالي، وطبقة السواد الأعظم من المسلمين التي تعاني الفقر والبؤس محرومة من كل الحقوق.

كان "حربي" ينتمي إلى الطبقة البرجوازية الجديدة، وهي الطبقة التي أصبحت ميسورة الحال بعد قانون "سناتوسكونسيلت" 1863م، القانون الذي فكك أملاك العرش وسمح بالملكية الفردية للأراضي.

ولعلّ أهم ما ميز هذه الطبقة أنها بقت محافظة على نمط الأسرة التقليدية التي أهم ما يمزها السلطة المطلقة للآب، فالأسرة التقليدية هي في نظر حربي "مجموعة اجتماعية تحكمها قواعد التصدر والسلطة وتستند إلى الأعراف والدين أكثر من استنادها إلى القانون، وتعتبر رحماً لكل الولاءات، لا تضع في صلب اهتمامها الصلة العاطفية للحب الأبوي والبنوي، لكن الطاعة والاحترام، بل الخوف"[8].

بيّن حربي كذلك مكانة المرأة في المجتمع، كاشفاً قضية مهمة، الا وهي دور المرأة المسلمة في تربية الناشئة. فرغم وضعيتها البائسة التي صورها بقوله: "كنّ حبيسات يعملن طوال اليوم"[9]. إلا أنهن لعبن دورا محوريا في حفاظ النشء على الموروث الثقافي الجزائري، وحمايته من المسخ الاستعماري، مستخدمين في ذلك القصص والحكايات والأمثال والحكم، فالأم حسبه "كانت من نوع آخر مختلف عن العالم الذي نعيش فيه خارج البيت"[10]. ويقول عن أمه: "...فقد نقلت لي بشكل عرضي عناصر من تاريخنا الوطني، وحين كانت تريد إرغامي على النوم، كانت تقول لي: نم، وإلا ناديت على بيجو Bijou ليأكلك ...وهي التي علمتني عبارة BirouArab...كانت تستعملها أمي حين تريد القول "لا يوجد حل" ...تعلّمت منها أغاني حول التجنيد الإجباري وأغاني تمجد الدكتور محمد صالح بن جلول"[11].

4-نظرته إلى التعليم العربي الحر وإلى التعليم الفرنسي:

يبدو أن "حربي" قد وقع ضحية لانتمائه الإيديولوجي الشيوعي في الصورة التي قدمها عن التعليم العربي الحر، سواء صورة المعلم أو صورة منهج وطرق التعليم، فيذكر أن المعلم "سي الطيب كافي كان يتعمد تسريحنا في وقت متأخر، كان سادياً، لا يسمح لنا بالانصراف إلا في اللحظة الأخيرة، كان يوبخنا كل صباح بقوله: "أصحاب جهنم أعداء الإسلام"[12].فالمعاملة السيئة التي كان يتلقاها التلاميذ دفعتهم الى الفرار من المدارس القرآنية، فهي حسب ما قاله: "كانت المدرسة القرآنية مكانا للقهر، فكنا نتعلم إلى جانب القرآن الطاعة العمياء، الخضوع، وكان المدّرس يفضل التلاميذ الأكثر خنوعاً ويقدمهم لنا كقدوة..."[13].

لقد جانب حربي الحقيقة، فلو لم يكن لتعليم العربي الحر دور في تعليم أبناء المسلمين وانتشالهم من براثن الجهل وتحصينهم من المسخ الحضاري لما حاربته الإدارة الاستعمارية، فقد كان التعليم العربي الحصن الذي تحطمت على أصواره مشاريع التغريب والفرنسة[14].

فالمؤسسات التربوية التقليدية هي التي جعلت الجماهير الشعبية "تعيد بناء ذاتها بيولوجياً تقريباً"[15]على حدّ تعبير "فرحات عباس"، وتبقيها وفية لتقاليدها وتاريخها وانتمائها الحضاري، وهذا بفضل جهود بعض علماء الجزائر الذين صانوا على حد قول "سعد الدين بن شنب": "... جيلا بعد جيل لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية صيانة الأمانة والعلم، أمانة الأنبياء محافظين على ذلك التراث النفيس العزيز وعلى ما يستوعبه من قيم رفيعة ومعان روحية حيوية..."[16].

أما بالنسبة للمدرسة الفرنسية، فكان في نظر حربي، الأمر مختلفاً، "فقد لا يحب المدرس تلميذاً، ولكن إذا كان هذا الأخير نجيباً فلا يتجاهله إلا نادراً"[17]. كما كان للمدرسة الفرنسية تأثير إيجابي، حسبه، على شخصية الطفل، لأن المعلم الفرنسي لهم من المهارات ما يؤهله من تحطيم المعتقدات البالية التي يؤمن بها الطفل المسلم، وهذا ما أسقطه على معلمته بقوله: "...لأن السيدة شاباص نجحت في تحطيم كل الخرافات بطريقة نبيهة جداً، فهي لم تكن تحتقر هذه المعتقدات، بردها إلى تخلّف الأهالي، بل كانت تحولها إلى حكايات وقصص خيالية، وبما أنها كانت تحب أن تروي لنا حكايات فرنسية، فلم نكن نشعر أننا الوحيدون الذين يملكون خرفات فهي موجودة أيضا في فرنسا ..."[18].

لقد كان من أهم نتائج المدرسة الفرنسية في نظر حربي هي أنها تجعل الطفل متمرد على قوانين العائلة وينزع نحو الحرية، متناسيا دورها التغريبي، لأن التفكيك الاجتماعي والثقافي تنطوي بالدرجة الأولى على عملية خلق نخبة منشقة عن المجتمع الذي تنتمي إليه، وأول خطوة في ذلك هي تبدأ من الأسرة

إن هذه العملية كانت منوطة بالمدرسة التي كانت في نظر الكثيرين من منظري الاستعمار وفلاسفته عاملا حاسما للسيطرة، إذ كانوا يعتقدون بأن أية قوة عسكرية، لا تكفي للحفاظ بما تم الاستيلاء عليه، بدون مدرسة تمكنهم من استعمار العقول من جهة، ومن جهة أخرى تمكنهم من خلق فئة من الأهالي المتعلمين المتمكنين من لغة المستعمر ولغتهم، يكونون حسب، "فلاديمير ماكسيمنكو"، "حلقة وصل بين إدارة الاحتلال والسكان المحليين"[19] . وبواسطتها كذلك حسب ما أورده "موريس بولارد" (Maurice Poulard) يتم إقناع الأهالي بأن فرنسا صاحبة حضارة سامية متسامحة ومفيدة لهم. فالمدرسة حسب "بولارد" دائما "هي قبل كل شيء وسيلة سيطرة وتأثير وسوف تجعل من الأهلي عنصراً نافعاً، وحليفاً مخلصاً لفرنسا"[20].

5 – المتجنسون في نظر حربي:

أشار "حربي" عرضاً لما تحدث عن عائلته من أمه ذات النفوذ الديني في الحروش وسكيكدة إلى قضية هامة وهي قضية المتجنسون وأسباب تجنسهم وعلاقتهم بالمجتمع الإسلامي. ففي نظره أن دافع هؤلاء للتجنس هو العوز والحاجة الاقتصادية، لذلك ظل المتجنسون يعيشون اغتراباً كبيرا، سواء بين أبناء جلدتهم أو بين الأوروبيين، ويورد مثال عن هؤلاء هو والد لأحد رعاة الغنم عند عائلة حربي بقوله: "...ولقد عرفت واحد منهم، كان ابنه صالح راعيا عندنا، قبل أن يتجند في الهند الصينية. فهذا المتجنس المعوز، أنهى حياته في العبادة والورع، ورغم ذلك، فيوم مات دقّ الكاهن أجراس الكنيسة، وكأنه مسيحي لأنه كان فرنسياً ..."[21].

الملاحظ أن "حربي" فسّر التجنيس تفسيراً ماديا بحكم انتمائه إل المدرسة المادية الماركسية، وأرجعه إلى الفقر، حتى أن المصطلح الذي وظفه (كان راعيا عندنا) له دلالة قوية جداً في وصف درجة العوز والبؤس. غير أن توظيف المنهج الماركسي في هذه القضية يكون توظيفاً غير مجدٍ، فأسبابها أبعد من ذلك وترتبط أساسا بالانبهار الحضاري، فأغلب المتجنسين كانوا يرون بأن الحضارة الغربية هي النموذج المثالي للنهوض بالمجتمع الجزائري. وحتى أن الحصول على الجنسية الفرنسية لم يكن بتلك البساطة التي تجعل من الفقير (الراعي) كما وصفه حربي يتحصل عليها، فكانت الإدارة الاستعمارية تشترط جملة

من الشروط في مقدمتها المستوى الدراسي وأن يحسن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة، والخدمة العسكرية، وأن لا يكون صدر ضده حكما قضائيا وغيرها من الشروط[22].

كان المتجنس في نظر المسلمين في مطلع القرن العشرين مرتدا عن الإسلام، فتكفيره لا يرتبط بفتوىالشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1935م و الشيخ الطيب العقبي سنة 1937[23]، وإنما كان ينظر اليه كمرتد لا تجوز عليه الصلاة منذ بداية القرن، ويظهر هذا من خلال قصة إمام الحروش، الشيخ "أحمد بوقادوم" الذي وضع تحت الإقامة الجبرية في المسيلة سنة 1915م، بسبب رفضه صلاة الجنازة على جثمان "خوجة عمّار"، جزائري متجنس بالجنسية الفرنسية، وبسبب تحريضه السكان على عدم السير في جنازته[24].

6-النشاط السياسي في الحروش وسكيكدة خلال الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات:

في ثنايا حديثه عن الوضع العام في دوار الحروش وسكيكدة أثناء طفولته يورد حربي إشارات عن نشاط أحزاب الحركة الوطنية، كقوله أن محمد صالح بن جلول رئيس فيدرالية النواب المسلمين كان مشهورا أكثر من عبد الحميد بن باديس ومصالي الحاج وفرحات عباس[25].

غير أن الدراسات المنوغرافية التي تناولت سكيكدة والدوابر التابعة لها تشير إلى حجم نشاط الأحزاب في المنطقة خلال الثلاثينيات بكل أطيافها، خاصة جمعية العلماء المسلمين نتيجة قربها من قسنطينة موطن الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهذا ما ذهب إليه الباحث "علي مراد" عندما صنف سكيكدة ودواويرها ضمنمناطق الانتشار الواسع لجمعية العلماء المسلمين منذ 1935م[26]. كما كانت سكيكدة تستقطب المناضلين خاصة من الشرق الجزائري، وهذا ما جعل كل الأحزاب تملك قاعدة شعبية واسعة في المنطقة.

7- تفسيره لأزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:

تزامنت بداية التحاق حربي بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية في مطلع الخمسينات مع بوادر أزمة الحركة التي اشتدت سنة 1953م وأدت إلى انفجار الحزب إلى مصاليين ومركزيين، لذلك حاول في مذكراته أن يبين السياق الذي وقعت فيه مبرزاً خلفياتها ونتائجها على مسار الحركة الوطنية.

نجده يربط الأزمة بتداعيات اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950م، ومحاولة الحزب التملص من المسؤولية. وكذلك بالنقاش الحاد الذي يصل أحيانا إلى مستوى الصراع بين الداعين إلى ضرورة الانتقال إلى العمل المسلح، وبين من يرون أن الوقت لم يحن بعد في مقدمتهم زعيم الحزب "مصالي الحاج"[27].

وما زاد في عمق الأزمة وحدتها هو تمسك "مصالي" بمبدأ القيادة الفردية والصلاحيات المطلقة، ورفضه لمقترح اللجنة المركزية في المؤتمر الثاني للحزب في أفريل1953م التي حاولت أن تجعل من القيادة قيادة جماعية. ورغم اقرار "حربي" بعدم توظيفه لمنهج المدرسة الماركسية في تفسيره للأزمة، إلا أنه لم يتمكن من تجاوزها، إذ نجده أرجعها إلى عدم التجانس الطبقي بين أعضاء الحزب الذي كان يتكون من ثلاث فئات:

- فئة العامة لسنوات الثلاثينات، التي كانيغذيها نجاح النضال الشعبي.

- فئة المعربين، التي كانت تضم عددا ممن خابت آمالهم في الحركة الإصلاحية الإسلامية.

- فئة المفرنسين، المنحازة للنموذج الجمهوري، ولكن الراغبة في الحفاظ على شيء من التقاليد لتتجذر فيها[28].

وبعد انقسام الحزب إلى مصاليين ومركزيين، ذهب حربي إلى أن الجناح المصالي يتكون في فرنسا من المهاجرين والعمال والتجار، وفي الجزائر العالم البروليتاري – خاصة عمّال الموانئ والمناجم – والحرفيين وصغار التجار (الحوانتية)، وكل الجماهير المترددة من

البرجوازية الصغيرة في المدن، وأخيرا الفئة الشعبية للنخبة المعربة، التي كانت تطالب بتعريب ضد "استئثار الفرونكفونيين بالسلطة". وتجمعت حول المركزيين الأنتيليجنسيا، والسكان الأكثر تحررا من التقاليد، والأكثر عداوة للخلط بين الشأن الديني والسياسي[29].

غير أن "حربي" الذي عايش الأزمة عن قرب، لم يشر إلى قضية محورية زادت من عمق الهوة بين المصاليين والمركزيين، ألا وهي التأثير السياسي والإيديولوجي لعمدة مدينة الجزائر "جاك شوفاليه" على المركزيين، ويبدو أنه تحاشى الخوض فيها لأنه محسوب على هذه الكتلة.

"فشوفاليه" في بداية 1953م استقال من الجمعية الوطنية الفرنسية لينظم إلى المجلس الجزائري، وذلك بهدف انجاز المهمة التي لم تتم، والتي بدأها "موريس فيوليت" سنة 1925م وأجهضها غلاة المعمرين، والمتمثلة في طرح مجموعة من الإصلاحات التي من شأنها ايقاف الغليان الشعبي في الجزائر الذي يهدد الوجود الفرنسي، وذلك بإلغاء النظام الانتخابي والحد من نفوذ "مصالي الحاج"، وفي نفس الوقت تحسين الحالة المادية للشعب الجزائري بانتهاج سياسة إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي جريئة[30].

تمكن "شوفاليه" من استمالة كل من "حسين لحول" و"عبد الرحمن كيوان" إلى مشروعه، والغريب في الأمر يقول الأستاذ "رابح بلعيد" "أن لحول حسين الذي أصبح غارقا إلى أذنيه في المذهب الإصلاحي، ويأكل من يد دعاة رسالة التمدن أمثال جاك شوفاليه، كان أشد المعارضين لفكرة إضفاء المشروعية على نشاط حزب الشعب الجزائري"[31]. وبهذا يكون المركزيون حسب تعبير الأستاذ رابح بلعيد دائماً "أن المركزيين لم يكونوا يشاركون مصالي إيمانه العميق بالجماهير الجزائرية، وقدرتها على تدويل المشكلة الجزائرية عن طريق العمل المباشر"[32].

الظاهر أن "محمد حربي" المؤرخ المقتدر، المطّلع على تفاصيل الأزمة، سواء بطريقة مباشرة (المعايشة) أو عن طريق الوثائق وما كتب حولها، قد غض النظر عن هذه الجزئية، خاصة وأن تجهل من المركزيين الذي وصفهم بالنخبة المتحررة في موقع مشبوه وهو التواطؤ مع "شوفاليه" الذي تمكن من توريطهم وجعلهم ينسون غاية الحزب وهدفه المنشود.

8-موقف حربي من جبهة التحرير الوطني:

بعد عقم النضال السياسي تبنى "نشطاء الحركة الوطنية" الذين تخرجوا من رحم حزب الشعب الجزائري خيار الكفاح المسلح، وذلك بعد "إنشاء جيش يشكل من المناضلين السياسيين وهو جيش التحرير الوطني، ومده بناطق باسمه وهو جبهة التحرير الوطني"[33].

يرى حربي أن خيارات ومبادئ الحزب خاصة مبدأ أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري قد "صدمته"، على حد تعبيره، وكذلك لأنه يقول: "...كان تصوري مطابقا للمبدأ الذي يقضي بضرورة "أن نحارب معا، وأن نسير منفصلين". ولكن الأحداث ستستغني عن موافقتي. وفرضت جبهة التحرير الوطني مشروع تجنيدها الاستبدادي ..."[34].

صحيح أن خيار القيادة الجماعية أدى إلى مشاكل كثيرة بسبب عدم تجانس المنضويين تحت لواء جبهة التحرير الوطني، وولد صراعات داخلية بين القادة كادت أن تعصف بالعمل الثوري. ولكن بالنظر إلى الظروف التي ولدت في خضمها الجبهة، كان من الحكمة تبني مبدأ القيادة الجماعية، فجبهة التحرير الوطني "قد ولدت جبهة التحرير الوطني بصورة قيصرية من رحم التيار الاستقلالي المتأزم، فظهرت عند الإعلان عنها في شكل حركة انشقاقية عن ذلك التيار بالنظر إلى العلاقات التصادمية لمؤسسيها مع المصاليينوالمركزيين في الفترة التي سبقت بداية الثورة، كما بدت وكأنها في غربة عن محيطها السياسي العام و فاقدة لأي قاعدة إسناد جماهيري"[35].

9- إضراب الطلبة 19 ماي 1956م هل هو مغامرة وفق النظرية الماركسية:

يرى حربي أن الطلبة الجزائريون في الجامعات الفرنسية قبل 19 ماي لم يكن لهم أي تأثير جماعي على الاحداث، فالانطلاقة كانت بإعلان فرع الجزائر للاتحاد العام للمسلمين الجزائريين إضراباً مفتوحاعن الدروس والامتحانات استجابة لنداء جبهة التحرير الوطني، وقد رافق الإضراب رفض مطلق للتعاون مع المجتمع الفرنسي.وصف حربي بأن مبادرة الإضراب "مغامرة"، وذلك انطلاقاً من العقيدة الماركسية التي ترى استحالة صمود الطبقة الحضرية في المقاومة مثل الرفيين[36].

لم يكتم "حربي" موقفه الرافض للإضراب، حيث رتّب لقاء مع "بلعيد عبد السلام"، وحضر اللقاء "رضا مالك"، و"عبد العزيز بن ميلود"، يقول "حربي": "...فاقترحت عليه أن يعلن قبل ذهابه إضراباً محدوداً لفرع الاتحاد العام للمسلمين الجزائريين بفرنسا، تضامناً مع طلبة الجزائر، لم يأخذ طلبي بعين الاعتبار، مقتنعاً أنه سيحمل المبادرين بالإضراب في الجزائر على التراجع عن قرارهم ..."[37]. وبعدها سلمه منشورات موجهة لقيادة جبهة التحرير الوطني تحت عنوان: "الكفاح المسلح من منظور الكلاسيكية الماركسية – الليلينية حررها المقاومون الشيوعيون الفرنسيون أثناء الحرب العالمية الثانية"، غير أن قيادة جبهة التحرير الوطني لم تعرها أي اهتمام، بل أن القيادة توعدت كل طالب رفض الالتزام بالإضراب[38].

ولكن هل فعلاً أن تصلح القاعدة الماركسية للتطبيقها على مقاومة وثورة الطلبة الجزائريين الجزائريين. يبدو أن نضال الطالب الجزائري، وارتباطه بالقضية الوطنية يفند طروحات "محمد حربي"، خاصة وأن الطالب الجزائري لم يعرف النضال منذ 19 ماي 1956م، بل نجده في المقاومات الشعبية (طلبة الكتاتيب والزوايا)، وفي الحركة الوطنية، وفي الثورة التحريرية منذ انلاعها.

الخاتمة:

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن حربي في مذكراته، قدم معلومات غزيرة تفيد الباحثين في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، وقد عالجها معالجة تاريخية، نقدا وتحليلاً. إلا أن مرجعيته الفكرية والمدرسة التاريخية التي ينتمي إليها (الماركسية)، وكذلك انتمائه الاجتماعي، طغت على صلب المذكرات سيما المتعلقة بنظرته إلى المجتمع قبل الثورة، وزعامات الحركة الوطنية، وتفسيره لبعض المحطات الحاسمة، مثل أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وميلاد جبهة التحرير الوطني، وإضراب الطلبة التاريخي 1956.

الهوامش:

[1]- محمد حربي، **حياة تحدي وصمود: مذكرات سياسية 1945-1962م**، تر: عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصبة، الجزائر، 2004، ص 5.

[2]- نفسه، ص 28 وما بعدها،

[3]- نفسه، ص 45.

[4]- رابح لونيسي، "الخطاب التاريخي عند محمد حربي والعوامل المؤثرة فيه"، عصور، ع 5/4، جامعة وهران، ديسمبر 2003، جوان 2004، ص 223.

[5]- نفسه، ص 224.

[6]- نفسه.

[7]- لونيسي، المرجع السابق، ص 226.

[8]- حربي، المصدر السابق، ص 8.

[9]- ص 09.

[10]- نفسه.

[11]- نفسه، ص ص 9-10.

[12]- نفسه، ص 24.

[13]- نفسه، ص 25.

[14]-Sadek HADJRES, **Culture Independence Et Révolution En Algérie,1880- 1980** ,Temps Actuels, Paris 1981 , pp 28 – 29.

[15]- فرحات عباس، **الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم، الشاب الجزائري (1930م) متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان (أبريل 1944)**، تر: أحمد منور، تقديم: سعد الله، دط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر 1007م، ص 20.

[16]- سعد الدين بن شنب،"النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"،**مجلة كلية الآداب**، ع1،جامعة الجزائر1964م، ص 40.

[17]- حربي، **المصدر السابق**، ص 25.

[18]- نفسه، ص 30.

[19]- فلاديمير ماكسيمنكو، **الأنتيلجنسيا المغاربية (المثقفون أفكار ونزاعات)**، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، ط1، دار الحكمة، الجزائر 1984م، ص 27.

[20]- Maurice POULARD, **L'enseignement pour les indigènes**, Gojosso, Alger 1910, P 50-51.

[21]- حربي، **المصدر السابق**، ص 15.

[22]- عبد الحميد زوزو، **الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية وثورة أول نوفمبر 1880-1954م**، ج1، ط2، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص 80.

[23]- جاء التكفير صريحاً في مقال "أبن اديس" الذي قال: "...لقد بات معلوما ضروريا أن رفض أحكام الإسلام هو ارتداد عنه ..."، وأصدر الشيخ الطيب العقبي فتوى في جويليه 1937 م اعتبر فيها التجنيس ردة عن الإسلام يتوجب على صاحبها التوبة " ...التجنيس بمعناه المعروف بشمال إفريقيا والإقدام عليه غير جائز بوجه من الوجوه ، ومن السحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر ومرتد عن دينه بإجماع المسلمين "، انظر:

- عبد المجيد بن عدة، **الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954م**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2004، 2005م، ص 479.

[24]- حربي، **المصدر السابق**، ص 15.

[25]- حربي، **المصدر السابق**، ص 09.

[26]- توفيق صالحي، **المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونيالية 1838-1962**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة منتوري قسنطينة 2008-2009م، ص 231.

[27]- حربي، **المصدر السابق**، ص ص 119-120.

[28]- نفسه، ص 118.

[29]- نفسه.

[30]- رابح بلعيد، **الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1954م**، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 132

[31]- نفسه.

[32]- نفسه.

[33]- حربي، **المصدر السابق**، ص 147.

[34]- نفسه، ص 147.

[35]- خيثر عبد النور، **تطور الهيئات القيادية في الثورة الجزائرية 1954-1962**، أطروحة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2005، ص 113.

[36]- حربي، **المصدر السابق**، ص178.

[37]- نفسه.

[38]- نفسه، ص 179.